فرنسا في عهد الملك لويس الثامن ١٢٢٣-١٢٢٦

م.د محمد عبدالرضا موسى

مكان العمل / جامعة الكوفة/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

البريد الإلكتروني Email : mohammeda.jburi@uokufa.edu.iq

الكلمات المفتاحية: فرنسا – الملك لويس الثامن – إنكلترا – بواتو – الكاثار – لانغدوك –الحملة الصليبية.

كيفية اقتباس البحث

موسى ، محمد عبدالرضا ، فرنسا في عهد الملك لويس الثامن ١٢٢٣-١٢٢٦، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الثاني ٢٠٢٥،المجلد:١٥ ،العدد:٦ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

France during the reign of King Louis VIII 1223-1226

M.D. Muhammad Abdel-Rida Musa
University of Kufa, College of Arts, Department of History

Keywords : France - King Louis VIII - England - Poitou - Cathars - Languedoc – Crusade.

How To Cite This Article
Musa, Muhammad Abdel-Rida , France during the reign of King Louis VIII 1223-1226, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, November 2025,Volume:15,Issue 6.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

During the reign of King Louis VIII, France witnessed continued growth, expansion of its area, and an increase in its resources, despite the short period of his rule, which lasted approximately three years and five months. It is an extension of the great success achieved by his father, King Philip Augustus, who rooted the Capetian rule in France through his balanced policy in managing the kingdom. On the economic level, the treasury was in good condition to the point of sufficiency. There was even a reserve of funds in 1226, the last year of his reign. He was also able to achieve a new episode of success in the conflict with the Kingdom of England, where he controlled vast lands in southwestern France that were subject to the English, so that nothing remained of their possessions in France except Gascony and Bordeaux. On the other hand, France's relationship with the Roman Church became very close, and this was evident in King Louis VIII's leadership of the Crusade against the heretical Cathars in southern France. This campaign had a double benefit: the first was that it imposed the control of the French crown over large areas of southern France. Had it not been for the king's sudden death, he would have been able to control all of southern France. The second

benefit was that the king became, in the eyes of The Roman Church is one of the saints and protectors of Christianity from heretics. All the privileges granted by the Church to those who go on crusades to the Holy Land apply to him and his followers.

الملخص:

شهدت فرنسا في عهد الملك لويس الثامن استمرارا في نموها وكبر مساحتها وزياده مواردها على الرغم من المدة القصيرة التي حكمها التي استمرت ثلاث سنوات وخمسه اشهر تقريبا ،فهي امتداد لذلك النجاح الكبير الذي حققه والده الملك فليب اغسطس فقد جذر حكم ال كابيه في فرنسا من خلال سياسته المتوازنة في إدارة المملكة، فعلى المستوى الاقتصادي كانت الخزانة في حالة جيدة لدرجة الاكتفاء بل كان هناك احتياطي من الأموال في عام ١٢٢٦ وهي السنة الأخيرة من حكمه، كما انه استطاع ان يحقق نجاح جديد آنذاك في الصراع مع مملكة انكلترا ،حيث سيطر على اراضي واسعة في جنوب غرب فرنسا كانت خاضعه للإنكليز بحيث لم يبقى من ممتلكاتهم في فرنسا سوى جاسكوني وبوردو ، وفي جانب اخر اصبحت علاقة فرنسا وطيدة للغاية مع الكنيسة الرومانية وتجلى ذلك في قيادة الملك لويس الثامن الحملة الصليبية على الكاثار الهراطقة في جنوب فرنسا فكان لهذه الحملة نفع مزدوج الاول انه فرض سيطرة التاج الفرنسي على مساحات كبيرة من جنوب فرنسا ولولا موت الملك المفاجئ لتمكن من السيطرة على الجنوب الفرنسي بالكامل، اما النفع الثاني ان الملك اصبح في نظر الكنيسة الرومانية احد القديسين وحامي المسيحية من الهراطقة وينطبق عليه واتباعه كل الامتيازات التي تمنحها الكنيسة للذين يذهبون في الحملات الصليبية للأراضي المقدسة.

المقدمة

شكلت فرنسا واحدة من اهم الممالك في اوروبا الغربية في العصور الوسطى نظرا لدورها المحوري في القاره وفي العالم بشكل عام ، كما ان عهد الملك لويس الثامن شهد احداثا مهمة على كافه المستويات على الرغم من المدة القصيرة التي حكمها وعلى جميع المستويات فعلى المستوى الداخلي نجد انه رسم سياسات عامة ساعدت في تركيز البنية الأساسية لحكم ال كابيه لاسيما وانه دخل في مواجهة حاسمة مع أصحاب الأفكار المخالفة والمعارضة للكنيسة الرومانية والذي تمكن من تحجيمها والحد منها، وعلى مستوى العلاقة مع مملكة إنكلترا التي شكلت دائما القضية الجوهرية لفرنسا حيث استطاع ان يسيطر على أراضي وممتلكات واسعة وضمها لمملكته كانت تابعة لإنكلترا .

تضمن البحث مقدمة ومباحث ثلاثة وخاتمة ، تناول المبحث الاول تتويج لويس الثامن ملكا على فرنسا وسياساته في إدارة المملكة، في حين بينا في المبحث الثاني الحملة الانكليزية على بواتو بقيادة الملك في عام ١٢٢٤ ،وتتبع المبحث الثالث الحملة الصليبية على لانغدوك في الجنوب الفرنسي عام ١٢٢٦ حتى وفاة الملك لويس الثامن في ٨ تشرين الثاني من ذات العام.

المبحث الأول

تتويج لويس الثامن ملكا على فرنسا وسياساته في إدارة المملكة

كانت فرنسا خاضعة لحكم الملك فيليب أغسطس (١١٦٥-١٢٢٣) الذي توفي في ١٤ تموز عام ١٢٢٣ وكان قد بلغ الثامنة والخمسين من عمره والثالثة والأربعين من حكمه. (JERVIS, 1886, p. 158) وكان وريثه هو ابنه الامير لويس البالغ من العمر ستة وثلاثين عامًا آنذاك، كونه قد ولد في يوم الإثنين ٥ ايلول ١١٨٧وشهدت باريس آنذاك افراحا واسعة استمرت لمدة أسبوع كامل، لم ينقطع الناس عن الغناء والرقص كل ليلة على ضوء المشاعل. كما ان والده أرسل عدد من الضباط الملكيين إلى المقاطعات الاخرى ليخبرهم بذلك حيث سارع الجميع إلى الابتهاج والمباركة، وكانت تلك المظاهر أول فرحة عامة تُحدثها ولادة ملكية. (Franklin, 1911, p. 8; Bloch, 1964, pp. 9-15)

وصفت المصادر التاريخية الملك لويس بانه قصير القامة شاحب الوجه نحيف الجسم عصبي المزاج، وكان عفيفا شديد التدين فقد أخذ من جده لويس السابع أكثر مما أخذ من والده فيليب أوغسطس في هذا الامر في حين شارك الأخير في حزمه وفهمه للشؤون السياسية وطموحه الجامح لتوسيع نفوذه. (Jullian, 1989, pp. 63-64) وكان يتمتع بسجل عسكري بارز ولقب بـ الأسد بفضل مآثره منذ ان كان اميرا ووريثا للعرش الفرنسي لاسيما بعد حملته على إنكلترا خلال عامي ١٢١٦-١٢١٧ على الرغم من انها لم تتكل بالنجاح. (Bourassin, 1975, p. 141)

ولضمان التاج كان الأمراء الكابيتيون Capétiens (ال كابيه) يُتوَّجون أثناء حياة آبائهم الا ان لويس الثامن كان الأول من سلالة ال كابيه الذي لم يُتوَّج أثناء حياة والده، (MarshalL, 1912, p. 172) الا ان ذلك لم يمنع من انتقال العرش بسلاسة من الأب إلى الابن مرة أخرى. لاسيما ان الملكية أصبحت اكثر رسوخا بحيث لا تحتاج إلى ذلك الضمان فالأصل الكارولنجي أعطى قوة للسلالة في الرأي العام الفرنسي. فقد عادت المملكة إلى نسب الإمبراطور شارلمان، الذي أخذ منه الملك لويس أصوله من خلال والدته. (Martin, 1859, p. 317) إليزابيث

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٥ المجلد ١٥/ العدد ٦

d'Elisabeth ابنة بالدوينBaudouin كونت هينوHainaut وهو عم لويس الخامس آخر ملوك سلالة شارلمان. (Guizot, 1825, p. 360)

وكانت المهمة الانية الأكثر أهمية آنذاك هي تنظيم حفل التتويج، وقد تم الترتيب لذلك بسرعة وحدد ٦ اب ١٢٢٣ موعدا لذلك وهو عيد التجلي عند الفرنسيين، وريمسReims مكانا للتويج حيث توج جميع الملوك الفرنسيين هناك التي تقع في مقاطعة شامبانياChampagne في شمال فرنسا، وتقع على بعد ١٤٤ كلم شمال شرق باريس وانطلق لويس و زوجته بلانش قشتالةBlanca de Castilla (Sismondi, 1823, p. 538) من هناك قبل أسبوع عبر الريف إلى الكاتدرائية التاريخية في ريمس وقد تم استدعاء النبلاء ورجال الدين في فرنسا كذلك كل من كان بإمكانهم أيضًا شق طريقهم إلى ريمس حيث تجمعوا استعدادًا في صباح اليوم الكبير في الكاتدرائية، وشمل الحشد نبلاء يرتدون ملابس أنيقة ومجوهرات ورجال دين يرتدون أفضل ثيابهم وضيوفًا بارزين بما في ذلك جون دي برين Jean de Brienne ملك القدس الذي عاد مؤخرًا من الشرق ،وقد تجمعوا في المكان البارد والمتجدد الهواء بينما كانوا ينتظرون وصول الملك والملكة، اللذان قاما بدخول احتفالي وسط الحشود نحو المذبح، وتم تكليف العديد من النبلاء بحمل الشارات خلال الحفل. (Hanley, 2016, pp. 195-196)

وكان امتياز حمل سيف الملك الجديد قد هدد لمدة وجيزة بأن يصبح موضوع صراع بين رفاقه، ولكن الشرف ذهب في النهاية إلى فيليب هوريبل Horrible Philippe الأخ غير الشقيق للويس فهو ابن فيليب أغسطس وأجنيس من ميرانيا Agnès de Méranie وجرى بعد ذلك قداس مهيب، ثم قام رئيس أساقفة ريمس ويليام دي جوانفيل Guillaume de Joinville بمسح لويس بزيت مقدس من الأمبولة المقدسة (Berger, 1895, p. 32; Velly, n.d., p. 4) وهي قارورة من الزجاج الروماني يقال إنها ارتبطت بمعمودية كلوفيسClovis أول ملك فرنجي يعتنق المسيحية في عام ٤٩٢ وتم وضع الصولجان في يد لويس اليمنى والقضيب المعروف باسم "يد العدل" في يده اليسرى، ثم أخيرًا تم وضع تاج ذهبي على رأس لويس، وبعد ذلك وسط تصفيق حار انتقل إلى الجلوس على كرسيه بينما تلا ذلك تتويج الملكة الذي كان قصيرا حيث توجت وقدم لها صولجانًا صغيرًا ثم بدأت الاحتفالات، تم ترتيب مأدبة ضخمة كلفت حوالي ٤٠٠٠ جنيه استرليني (حوالي نصف إجمالي الدخل الملكي السنوي آنذاك مقدرا بالجنيه الاسترليني) حيث كانت الوليمة أجمل وأغنى ما شوهد في تتويج ملك على الإطلاق. (Hanley, 2016, pp. 196-197)

وفي اليوم التالي عاد الملك والملكة إلى باريس وسط هتافات من قبل الجمهور المحتفل في الساحات وعند مفترقات الطرق وفي الشوارع حيث لا يوجد شيء يمكن رؤيته سوى الملابس المتلألئة والكنائس مزينة بأكاليل الزهور وعطر البخور يرتفع في الهواء ومجاميع من الشباب والفتيات شكلوا رقصات على صوت الآلات الموسيقية والمغنون الشعبيون يرافقون تلاوة أبيات شعرية في مدح الملك الجديد التي قدمت له الهدايا واستمرت الاحتفالات ثمانية أيام (Sismondi, 1823, p. 539; Berger, 1895, p. 32; Velly, n.d., p. 5)

- السياسات العامة للملك لويس الثامن في إدارة المملكة.

حرص الملك لويس الى مباشرة العمل فور انتهاء مراسيم التتويج ، ففي مجال الادارة فقد احتفظ الملك لويس بمستشاري والده الأقربين فقد وضع ثقته الكاملة في أولئك الذين خدموا بإخلاص ومنهم المستشار غيران Guérin وقائد الجيش الملكي ماتيو دي مونتمورنسي Mathieu de Montmorency، والمنتصرون في معركة بوفين Bouvines إنغويران دي كوسي Enguerrand de Coucy البارون ذو النفوذ الواسع وبارتيليمي دي روي Barthélemy de Roye ، والحاجب روبرت دي كورتيناي Robert de Courtenay وهو أمير من آل كابيه، وجان كليمنت Jean Clément المنحدر من سلالة مارشالات فرنسا، ويبدو أن الملك كان يكنّ تقديرًا خاصًا للحاجب العجوز أورس دي لا شابيل Ours de La Cha-pelle رفيق حملته على إنكلترا الذي ابقاه في منصبه. (Bourassin, 1975, p. 143)

وقد أضاف الملك لويس إلى دائرة مستشاريه بعض الرجال من اختياره ومن بينهم سيمون لانجتون الذي غفر له البابا دوره في حملة لويس الإنكليزية ورفع عنه الحرمان الكنسي، وبالتالي فقد اتسمت الأشهر الأولى من حكمه بالاستقرار والتجديد، وكجزء من عملية توطيد الحكم قرر أن يزور أحدث المناطق التي ضمتها المملكة، حيث كانت الولاءات للملكية هناك هي الأحدث وبالتالي الأكثر اهتزازًا، وبالفعل في أيلول ١٢٢٣سار هو وزوجته الملكة عبر تورين Turin وانجيه Angers ونورماندي Normandie، وقاما برحلة ثانية في تشرين الثاني من ذات العام متجهين هذه المرة شمالاً إلى أراس Arras وفلاندرز Flanders، وفي كلتا الرحلتين تلقى الملك لويس الاحترام والطاعة واقسم له بالولاء من قبل النبلاء ورحب به الشعب بوصفه رجل قوي ومجرب كملك جديد وهو ما يعني لهم السلام والاستقرار. (Hanley, 2016, p. 199)

ومن المرتكزات المهمة التي اعتمد عليها الملك لويس في إدارة المملكة هم المفوضين الملكيين او القضائيين وهم من نسل مباشر للمفوضين الذين فوضهم ملوك القرن الثاني عشر للدفاع عن مصالحهم عن بعد، ويعود تقسيم المملكة إلى مناطق إدارية إلى السنوات الأولى من حكم فيليب

أغسطس(١١٨٠-١٢٢٣) وكانت صلاحياتهم في عهد الملك لويس الثامن واسعة فهم يتلقون الجزية ويجمعون العائدات ويحمون الكنائس وينفذون الأحكام ويجلسون في جلسات المحاكم ويعملون كمحكمين، وبطبيعة الحال كانوا غالبًا ما يتعارضون مع السلطات القضائية الاخرى. فكانوا بمثابة امتداد للمحكمة الملكية وهي احدى الأساليب التي تستخدمها العائلة الملكية لتسهيل استيعاب البلدان التي كانت تضمها آنذاك ،وكانت بعض التحقيقات الإدارية تهدف إلى تحديد ما إذا كانت الإقطاعية تعتمد بشكل مباشر على الملك أو ما إذا كانت الأرض مملوكة له ومن ثم تحديد الحقوق القضائية والمالية للملك. (Dutaillis, 1894, pp. 368-372; Mably, n.d., pp. 123-142-143)

كما اوجد الملك لويس نظاما إداريا جديدا عرف بـ نظام الإقطاعيات الكبيرة من خلال وصيته التي كتبها في حزيران ١٢٢٥ عندما ترك لثلاثة من ابنائه اقطاعيات مختلفة، وكان الدافع والمبرر وراء ذلك هو الزيادة الواسعة في الملكية الفرنسية، وكان من الطبيعي ات تظهر اثار هذا النظام بعد وفاة الملك لويس. (Longnon, 1922, p. 127)

اما فيما يخص السياسة المالية فقد كانت الإيرادات العادية لمملكة فرنسا في بداية عهد الملك لويس الثامن تبلغ ١٢٠٠ ليفر livres يوميا من خلال الضرائب وغيرها من جبايات الأراضي وعوائد العدالة وخاصةً الغرامات وقطع الأشجار في الغابات الملكية وحقوق البلاط وغيرها من الحقوق الإقطاعية، وأموال الميراث المنتقلة إلى سلطات الضرائب وحقوق الاستهلاك التي تدفعها الكنائس عن الأراضي التي استحوذت عليها، لكنها لم تكن كافية لتلبية الاحتياجات المتزايدة لمملكة في حالة حرب دائمة. (Luchaire, 1911, p. 238) لذا فان الملك لويس اخذ في عام ١٢٢٤ يعتمد أيضا على مزارع الكروم وثروات البحر المتنوعة ومصائد الأسماك الملكية. (Cassard, 2011, p. 160)

كما ان حق سك العملات المعدنية مثل غيره من الحقوق التي كانت في قبضة الملك، فقد شكلت العملة المعدنية دخلاً مهماً لأن الملك كان له الحق في تحديد سعر العملات المعدنية التي ضربها وتغيير علاقتها باليفر الباريسي(العملة الباريسية) وأقسامه الفرعية حسب رغبته، وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك دخول استثنائية كانت تعزز خزينة المملكة مثل الفدية وغنائم الحرب، وعلى الرغم من ان الإدارة المالية لملوك ال كابيه كانت غامضة وغير واضحة الا ان الاعتقاد ان الملك لويس الثامن استطاع من تعظيم عائدات مملكة فرنسا وهذا ما تثبته احدى الوثائق الملكية المتعلقة بحساب الميزانية الملكية عام ١٢٢٦ وهو العام الأخير لحكم الملك لويس حيث ذكرت انه بعد خصم الإيرادات والنفقات لذلك العام كان يوجد في خزانة المملكة مبلغا وقدره

١٢٣,٨٩٨ ليفر و١٦ سوسًا sous وهو على الأرجح الفائض السنوي او الاحتياطي المالي للمملكة. (Dutaillis, 1894, pp. 380-386)

اما سياسة الملك لويس تجاه الكنيسة فقد كانت ايجابية واتسمت بعد الاعتراف بالحقوق الملكية واحترامها بالتقدير والإنصاف، لاسيما فقد كان طوال حياته كاثوليكيًا متديناً ومحباً لزوجته الملكة بلانش قشتالة وظل وفيًا لها حتى وفاته بحسب المصادر التاريخية (Bourassin, 1975, pp. 141-142) وتعهد بحماية الكنيسة وتعزيز الطابع الكنسي من خلال ملاحقة البدعة. (Bloch, 1964, pp. 16-17)

وكان أكثر سخاءً تجاه الكنيسة من والده حيث أصدر تعليمات لمسؤوليه بعدم تفسير حقوق التاج بشكل صارم للغاية تجاه بعض الأديرة الدينية، كما وضع بعض الاديرة تحت حمايته التي كانت تتعرض للخطر وكان يدعم الرهبان وحريصًا على تقديم بعض المنح للمؤسسات الكنسية المهمة في لانغدوك في جنوب فرنسا، الا لن ذلك لم يخلو من صبغة سياسية حيث ادى رجال الدين دورًا بالغ الأهمية في ترسيخ مكانة الملك هناك، وفي شمال فرنسا حافظ الملك لويس على حقوقه المفروضة على رجال الدين كما فعل والده، أما المعارضة القوية الوحيدة التي واجهها من الأسقفية فقد جاءت في نورماندي عندما غزا الملك بواتو Poitou عندما غادر ثلاثة أساقفة نورمانديين الجيش الملكي بين تورز Tours وبواتييه Poitiers رافضين خدمة الملك خارج الدوقية، ليأمر بإجراء تحقيق في التزاماتهم المعتادة وتبين أنهم مدينون له بالخدمة مما اضطرهم إلى دفع غرامة، ومع ذلك حظي الملك بتعاون وثيق من الأساقفة الذين حضر العديد منهم المجالس الملكية وقدموا له المشورة. (West, 2020, p. 239) فقد كان الملك لويس دائمًا درع الكنيسة لاسيما وانه قاد الحملة الصليبية الأولى له ضد الهراطقة عندما كان اميرا كما أظهر انه اقل شدة من والده تجاه رجال الدين، حيث سعى إلى الحفاظ على التوازن في الصراعات بين رجال الدين والبرجوازية والنبلاء، وعلى غرار أسلافه أنفق الأموال والأراضي والامتيازات على الكنائس حتى أنه دافع عنها ضد ضباطه، في المقابل طبق بصرامة حقوق الملكية فيما يتعلق بخدمة الضيافة والشعارات الملكية المستحقة على الأبرشيات. (Luchaire, 1911, pp. 294-295)

كما اتبع الملك لويس سياسة خاصة مع اليهود الذين كانوا يعدون من الأجانب وفي ادنى طبقات المجتمع في فرنسا في العصور الوسطى الذين لم يكن لديهم وطن، الى جانب الاجانب الذين كانوا في الغالب من الإيطاليين، حيث سيطر هؤلاء على جزء كبير من تجارة السلع وكانوا يمارسون تجارة الفضة بشكل احتكاري تقريبًا، وقد استقر اليهود منذ وقت طويل في المدن

الرئيسية في فرنسا وعملوا كوسطاء بين التجار الشرقيين والتجار الفرنسيين، وقاموا بأعمال مصرفية وقروض بفائدة على الرغم من محظورات الكنيسة، فبعد أن اضطهد الملك فيليب أوغسطس اليهود انتهى به الأمر إلى التسامح معهم من أجل تحقيق مصلحة أكبر لخزانته (Dutaillis, 1894, p. 414)

الا انه مع اعتلاء الملك لويس الثامن العرش الفرنسي اصدر مرسوم في ٨ تشرين الثاني ١٢٢٣ بشأن اليهود كان صارمًا للغاية وتميز بطابع ديني ومالي مزدوج ، حيث نصت بنوده انه اعتبارا من تاريخ صدور هذا المرسوم لن تتراكم الفائدة على الديون المستحقة لليهود وتعد الفائدة على القروض بمثابة ربا، وأن رأس المال المُقترض فقط هو الذي سيُسدد لهم (Sismondi, 1823, p. 540; Luchaire, 1911, p. 295) كما يجب سداد رأس المال المستحق لليهود خلال ثلاث سنوات وفق شروط محددة، وسيتم تسجيل جميع ديون اليهود تحت إشراف أوصيائهم قبل ٢ شباط ١٢٢١ كما تعد الوصولات التي مضى عليها أكثر من خمس سنوات ولم يتم تقديمها للمدينين خلال هذه المدة باطلة لأنها تم إخفاؤها عن طريق الاحتيال من أجل تعزيز تراكم الفائدة، وبذلك سُمح لليهود بسداد ديونهم ولكن لم تصل إليهم الأموال إلا عن طريق أسيادهم المعنيين ويعتقد أن جزءاً من تلك الأموال التي تم إدخالها في ايرادات عام ١٢٢٦ يأتي من الضرائب التي فرضها الملك على هذه الديون وهذا المبلغ لا يقل عن ٨٦٨٢ ليفر، وعلى الملك وجميع بارونات فرنسا ان لا يستقبلوا في مناطقهم الخاصة اليهود القادمين من إقطاعية أخرى. (Dutaillis, 1894, pp. 415-416)

كما نص المرسوم انه في المستقبل لن يكون لليهود الحق في الحصول على ختم لإثبات ديونهم. من ناحية أخرى أيد الملك لويس تأسيس المصارف الإيطالية في فرنسا ، ففي عام ١٢٢٤ منح اللومبارديين الإذن بالإقامة في باريس لمدة خمس سنوات مع ضمان أمنهم في أراضي الملك وامتياز تحمل المسؤولية تجاهه وحده، ويُعد هذا أول ميثاق معروف لملك فرنسي يتعلق بإقامة اللومبارديين في أملاك ال كابيه، كما اصدر الملك لويس ميثاقا ملكياً في تشرين الثاني ١٢٢٥ ينظم دور سك العملة وأنشأ جمعية من المصرفيين اللومبارديين وحدد واجباتهم وامتيازاتهم والغرامات المفروضة في حال المخالفات، وبذلك منع اليهود من التجارة في الأموال مما عدت ضربة قاصمة لهم. (Luchaire, 1911, p. 295)

المبحث الثاني

الحملة على بواتو عام ١٢٢٤

لم يتعكز ويكتف الملك لويس على إنجازات والده الملك فليب أغسطس بل أراد ان يكون له حضوره وانجازاته الخاصة وكانت إحدى الطرق التي يمكنه من خلالها القيام بذلك هي إعادة بدء حربه مع التاج الإنكليزي والسيطرة على الأراضي التابعة له في فرنسا، وكان من المقرر أن تنتهي الهدنة بين إنكلترا وفرنسا في عيد الفصح عام ١٢٢٤ (Bloch, 1964, pp. 30-31) وتعود جذورهذه الهدنة الى عام ١٢٠٥عندما استولى ملك فرنسا فيليب اغسطس على بواتو ولكن الجزء الأكبر منها استعاده جون ملك إنكلترا (١١٩٩-١٢١٦) في عام ١٢١٤ وتركها في حوزته بموجب شروط الهدنة التي انتهت بها الحرب بينه وبين الملك فيليب اغسطس، ثم مددت الهدنة بعد ذلك في ٣ اذار في عام ١٢٢٠ لمدة أربع سنوات اعتبارًا من عيد الفصح لذلك العام، وعندما انتهت الهدنة يوم عيد الفصح ١٤ نيسان ١٢٢٤كان الملك لويس قد ابلغ الحكومة الإنكليزية منذ شهر تشرين الأول ١٢٢٣ انه ينتظر انتهاء الهدنة فقط لتجميع جيشه لغزو الأراضي القارية المتبقية لملك انكلترا هنري الثالث(١٢١٦-١٢٧٢) في فرنسا ، لكن في اللحظة الأخيرة جرت مفاوضات بين الطرفين الا انها باءت بالفشل في ٥أيار ١٢٢٤ ، لذلك في ١٥ من ذات الشهر أعلن الملك هنري الثالث أن هدنته مع فرنسا قد انتهت وأمر العاملين في موانئ المدن الرئيسية الإنكليزية بتجهيز سفنها للخدمة عند الاحتياج واحتجاز جميع السفن التي تدخل موانئها وعدم السماح لأي منها بالخروج دون إذن خاص منه. (Norgate, 1912, pp. 131-132-221)

وكان الملك هنري الثالث قد امتنع عن حضور مراسم تتويج ملك فرنسا بوصفه إقطاعي كبير تابع لفرنسا (Abbott, 1876, p. 140) كما ارسل رئيس أساقفة كانتربري إلى باريس للمطالبة باستعادة نورماندي وجميع المقاطعات التي أخذها فيليب أغسطس من والده الملك جون وكان هذا كافيًا لإحداث حرب بين الطرفين. (Gabourd, 1856, p. 486; Berger, 1895, p. 33)

غضب الملك لويس من هذا الادعاء وأجاب بأنه يعتبر نفسه سيدًا والمالك الشرعي للأراضي التي ادعى ملكيتها الملك هنري الثالث، ولمزيد من الأمان وتوقعًا لحدوث حرب جديدة ضد الإنكليز شدد قبضته على السلطة وعمل على تقوية علاقاته الخارجية ، حيث ابرم معاهدة تحالف مع الامبراطور الروماني فريدريك الثاني لتعزيز موقفه تجاه انكلترا. (Gabourd, 1856, p. 487) ولم يكن غزو الاخيرة مرة أخرى سيناريو واقعيًا في تلك المرحلة بعد ان غزاها عندما

كان اميرا ١٢١٦-١٢١٧، لكنه كان بإمكانه طرد الإنكليز من فرنسا (Norgate, 1912, p. 221) لاسيما ان الوضع الداخلي في إنكلترا لم يكن في احسن حالاته كون لم يتمكن الإنكليز من القيام بأي استعداد جدي للدفاع عن ممتلكاتهم في فرنسا ، وكانت كل طاقة حكومة القاضي هيوبرت دي بورغ Hubert de Bourgh التي كانت تشرف على الأمور في انكلترا كون ان الملك هنري الثالث لم يصل الى سن الرشد بعد انذاك موجهة لقمع انتفاضة فولك دي بريوتيه Foulques de Bréauté، حتى البابا الذي كان من قبل يؤيد الإنكليز بقوة كان في حاجة إلى مساعدة فرنسية في لانغدوك ضد الهراطقة وبالتالي لم يعد بإمكانه دعم حكم اسرة البلانتاجنت في انكلترا (Marsh, 1912, p. 41)

لذلك بدأ الملك لويس في تنفيذ خطته ووجه انتباهه إلى بواتو إحدى مناطق آكيتاين في جنوب غرب فرنسا وكانت الاخيرة خاضعة ذات يوم لسيادة ملك فرنسا، ولكنها انتقلت إلى سيطرة هنري الثاني(١١٥٤-١١٨٩) ملك إنكلترا عندما تزوج الدوقة إليانور آكيتاين، وبحلول عام ١٢٢٤أصبح لقب دوق آكيتاين أحد ألقاب الملك هنري الثالث. (Hanley, 2016, pp. 201-202)

وقد شكلت تلك المنطقة مشاكل صعبة للحكام حيث ان المدن هناك كانت تتصرف وكأنها جمهوريات مستقلة وكان كبار الإقطاعيين في تلك المنطقة يعارضون أي حكومة مركزية قوية وسعوا إلى منعها من خلال موازنة القوى بين الفرنسيين والإنكليز (Marsh, 1912, p. 39)

وقبل البدء بالحملة على بواتو وخلال شهر أيار ١٢٢٤ قام الملك لويس بحركة ذكية عندما فتح مفاوضات مع الأمراء الإقطاعيين في آكيتاين ومنهم هيو العاشر دي لوزينيان Hugh X de Lusignan الذي يتمتع بنفوذ كبير في المنطقة آنذاك فهو كونت لاماركي La Marche بعد أن خلف والده هيو التاسع في عام ١٢١٩ وكونت أنغوليم Angoulême من خلال زواجه من إيزابيل أرملة الملك جون ملك إنكلترا ووريثة تلك المقاطعة بعدها الابنة الوحيدة لوالدها، والذي استجاب على الفور لمبادرات الملك لويس كونه كان يتوق منذ مدة طويلة إلى جزيرة أوليرونOleron قبالة الساحل الفرنسي جنوب ميناء لاروشيل La Rochelle الرئيسي وكانت ستكون جزءًا من مهر جوان شقيقة الملك هنري الثالث عندما كانت مخطوبة لهيو العاشر ، حيث وافق الملك لويس على أنه إذا كان بإمكانه استخدام أراضي هيو في بواتو كقاعدة لهجومه على الأراضي الإنكليزية المتبقية في المنطقة فإن السيطرة على أوليرون ستنتقل إلى هيو العاشر بمجرد الاستيلاء عليها، وافق الاخير على ذلك ليتمكن الملك لويس من المضي قدمًا في

خططه. (Gabourd, 1856, p. 487; Berger, 1895, p. 33; Hanley, 2016, p. 202; West, 2020, p. 171)

ومن عوامل القوة الأخرى للملك لويس للمضي بحملته كانت موارد التاج الفرنسي تحت تصرفه لاسيما وان الإيرادات الملكية شهدت توسعا في عهد ابيه فيليب اغسطس ليس فقط من خلال تطور التجارة الذي أعقب الاستحواذ على الموانئ البحرية، ولكن أيضًا من خلال تحويل الخدمات الإقطاعية إلى مدفوعات نقدية وتشجيع مصادر إيرادات غير عادية. (Macdonald, 1915, pp. 145-146)

وهكذا بعد ان اتم جميع الاستعدادات حشد الملك لويس جيشه في تورز Tours في ٢٤ حزيران ١٢٢٤ والذي تالف من الفرسان وكبار البارونات منهم كونتات شامبانيا Champagne وبريتاني Bretagne وبلوا Blois وشارتر Chartres والعديد من الأساقفة، ناهيك عن المستشارين والفرسان من حاشية الملك (Luchaire, 1911, p. 286; Viard, 1932, pp. 9-10)

في المقابل لم يكن هوبرت دي بورغ قادرًا في ذلك الوقت على إرسال أي مساعدة ذات قيمة كبيرة، ومع ذلك فقد فعل ما بوسعه فقد وضع في يدي سافاري دي موليون Savari de Mauléon قائد الحامية الإنكليزية في بواتو كل الأموال التي كانت عائدة للملك هنري الثالث آنذاك في جاسكوني وناشد المدن البقية التابعة لإنكلترا بتقديم المزيد من المساعدة، وفي ٢٦ حزيران ١٢٢٤سمح لسافاري دي موليون باقتراض ١٠٠٠ مارك للدفاع عن بواتو ووعد بسداد المال من خزينة انكلترا، وفي ذات اليوم أذن لمواطني بوردو باقتراض ٥٠٠ مارك لتحصين مدينتهم ووعد بأن الملك هنري الثالث سيسددها لمن يقدمها. (Marsh, 1912, p. 42)

وكانت خطة الملك لويس من المقرر أن تكون محفوفة بالمخاطر وطويلة، فهي تهدف الى غزو كامل بواتو وعبور نهر غارون Garonne للهجوم على بوردو حتى ان المقربين منه نصحوه بتدمير الهيمنة الإنكليزية إلى الأبد من خلال الذهاب إلى أبعد من ذلك وصولا الى جبال البرانس وشجعوه على عبور القناة وطرد الملك هنري الثالث من انكلترا. (Luchaire, 1911, p. 286)

سار الملك لويس مع جيشه ووصل الى بلدة ثوارس Thouars ثم بعد ذلك عقد هدنة مع قائد القوات الإنكليزية في تلك البلدة لمدة عام واحد بشرط أنه إذا لم ينقذه الملك هنري الثالث خلال تلك المدة سوف يعترف بنفسه كرجل تابع للملك لويس، ومن تلك البلدة اتجه نحو الجنوب الغربي عبر بواتو بهدف الوصول في النهاية إلى لاروشيل، وعند وصوله الى نيورت Niort لم

تستطع هذه المدينة المقاومة والصمود بوجه الملك على الرغم من اتها كانت مجهزة جيدا بالسلاح، فبعد حصار قصير من ٣ إلى ٥ تموز ١٢٢٦ استسلمت مع حامية يقودها سافاري دي موليونSafari de Moulion الا انهم وضعوا شرطا وهو أن يتمكنوا من الانسحاب إلى لاروشيل ووافق لهم الملك على ذلك. (Martin, 1859, p. 323; Marsh, 1912, p. 43)

وكان التالي في طريق الملك لويس هو مدينة سان جان دانجلي–Saint–Jean d'Anglé لكن سكانها استسلموا دون قتال بمجرد ان سمعوا باقتراب الملك، وقد حظي الاخير باستقبال فخم بتلك المدينة وكان بإمكانه أن يخطط لخطوته التالية والأكبروهي الهجوم على لاروشيل التي كانت ذات أهمية محورية حيث كانت الميناء الرئيسي في ذلك الجزء من ساحل المحيط الأطلسي كون ان البدائل والأقرب ذات الحجم المماثل هي بوردوعلى بعد ١٢٠ ميلاً (١٩٠ كم) جنوبًا أو ميناء نانت Nantes الداخلي على بعد حوالي ٨٥ ميلاً (١٣٥ كم) شمالًا، كما ان لاروشيل هي المكان الذي طالما نزل فيه الملوك الإنكليز عند زياراتهم لأراضيهم في فرنسا، حيث كانت كبيرة بما يكفي لإنزال القوات واللجوء إليها في حالة وجود تهديد ، وقد بنيت ثروة المدينة على التجارة لاسيما تجارة النبيذ مع إنكلترا والتي اعتمدت عليها في كثير من ازدهارها، وبالتالي كان من المتوقع أن يكون تعاطف أهلها مع إنكلترا وعلاوة على ذلك كانت تدافع عنها حامية إنكليزية. (Hanley, 2016, pp. 203–204)

لذاك كان القرار ان يكون هناك حصار على المدينة الا ان الملك لويس واجه بعض المشاكل مع نبلائه وشروط خدمتهم الإقطاعية ، فقد استمرت الحملة حتى ذلك الوقت عشرين يومًا وكان البارونات الفرنسيين قد سئموا الحرب بالفعل وهددوا بالانسحاب، وكان تيبو Thibaut من شامبانيا الأكثر صخبًا بينهم وأظهر أكبر قدر من الاعتراض ، وأن بدء حصار مدينة محصنة جيدًا سيجعلهم يتجاوزون مدة خدمتهم القانونية التي تبلغ أربعين يومًا وبالتالي لا ينبغي محاولة ذلك، ولكن بإصرار الملك الذي كان مدعومًا من رجال الكنيسة الحاضرين بدأ الحصار ١٠تموز ١٢٢٤ كون ان إخضاع مدينة لاروشيل تجعل الملك لويس يسيطر بسهولة على بقية أرض بواتو. (Luchaire, 1911, p. 286)

في المقابل كان بإمكان سافاري دي موليون وحاميته الانكليزية المكونة من مائتي فارس أن يصمدوا جيدا لا سيما بعد ارسال تعزيزات من بعض بلديات جاسكوني وروايانRoyan وغيرها كما كان مدعومًا بقوة من مدينة بايونBayonne التي جهزت لخدمته أسطولاً من السفن الشراعية وأرسلت معه قوة من ٤٠٠ رجل، ويعود موقف مواطني بايون ذلك كونهم كانوا منخرطين في تجارة النقل على طول الساحل من مدينتهم إلى بوردو ولاروشيل وقد تتعرض هذه

التجارة للخطر إذا ما وقعت لاروشيل في أيدي الفرنسيين، ويبدو أن بوردو ظلت متفرجة غير مبالية بالحصار وربما يعود ذلك إلى ان اي انتصار فرنسي من شأنه أن يجعلها المركز بلا منازع للتجارة بين إنكلترا وفرنسا. (Marsh, 1912, p. 43)

وعلى الرغم من تلك الامدادات الا ان سافاري دي موليون انتظر لبعض الوقت على أمل تلقي المساعدة من إنكلترا وخاصة المال الذي كان في حاجة ماسة إليه، وفي النهاية وصلت بعض الصناديق الثقيلة وتوقع أن تُملأ بـ (الذهب الموعود) ولكن عندما فُتِحَت وجد أنها لا تحتوي إلا على قطع من الحديد والنخالة في محاولة من مستشارو الملك هنري الثالث لإلهام الثقة في الجنود بأنهم سيتقاضون رواتبهم قريبًا ، فغضب سافاري من هذا الخداع فعم السخط وتسبب في اندلاع خلافات خطيرة في لاروشيل. (Sismondi, 1823, pp. 556–558; Abbott, 1876, p. 140)

وبحلول شهر اب ١٢٢٤ لم تكن الحامية الانكليزية والمواطنون هناك قد وصلوا إلى أقصى درجات روعهم ولكنهم أدركوا أنه لا جدوى من الاستمرار في القتال ولم يكن لديهم ما يكفي من الأموال والقوات لشن هجمة لمحاولة كسر الحصار وكل ما كان بوسعهم فعله هو الصمود وتحمل القصف حتى انهارت الجدران وتدفق الجيش الملكي، وكان من الأفضل للسكان أن يقبلوا الأمر الذي لا مفر منه على أمل تأمين تسوية، فاستسلمت لاروشيل للملك لويس في ٣ آب ١٢٢٤ ، وبعد دخول المدينة سلميًا منتصرًا سمح الملك للحامية الانكليزية بالمغادرة بأرواحهم وأسلحتهم، وبعد أيام قليلة أقسم البرجوازيون في المدينة الولاء لسيدهم الجديد، ومنذ ذلك الحين توقفت كل المقاومة في بواتو في وقت ابحر الإنكليز بعيدًا متخليين عن المدينة لإنقاذ ارواحهم. (Luchaire, 1911, p. 286; Hanley, 2016, p. 286)

الا انه سرعان ما اتُهم سافاري دي موليون بالخيانة من قِبل رفاقه في السلاح بانه سلّم لاروشيل للفرنسيين فأرادوا القبض عليه وهم يبحرون معًا للعبور إلى إنكلترا لكنه أحبط مخططاتهم وهرب إلى فرنسا ليصبح في خدمة الملك لويس، و تبع ذلك سقوط جميع المدن الواقعة شمال نهر غارونGaronne بأيدي الفرنسيين ورُفعت الأعلام الفرنسية حتى في بوردو (Sismondi, 1823, pp. 558–559)

لم يبق للإنجليز آنذاك سوى جاسكوني وبوردو من جميع ممتلكاتهم الكبيرة في فرنسا وكان بإمكان الملك لويس ان يجعل نفسه سيدًا على هاتين المدينتين لو لم ينجرف وراء حوافز أقوى للانخراط في الحرب ضد الكاثار في الجنوب، وقد شجعته تحريضات البابا هونوريوس الثالث Honorius III (١٢١٦-١٢٢٧) الذي دعا ايضا جميع الأساقفة والنبلاء في فرنسا إلى حمل

الصليب وتطهير الأرض من الهراطقة (Abbott, 1876, p. 140) حيث فضل العودة إلى باريس في ايلول ١٢٢٤ وعلى الرغم من ذلك تمكن الملك لويس من خلال حملته هذه من الحصول على مكاسب كبيرة كونه سيطر على جميع الأراضي الواقعة بين نهري لوار Loire وغارون وحتى بعض الأراضي الصغيرة جنوب الأخير، واحتفاء بذلك منح امتيازات خاصة لبعض المدن مثل نيورت ولاروشيل وبواتييه بالإضافة إلى بعض الأديرة الكبرى، كما استرضى آل لوزينيان بمنحهم جزيرة أوليرون تنفيذا للاتفاق بين الطرفين. (Macdonald, 1915, p. 154)

المبحث الثالث

الحملة الصليبية على الألبيجينيين Albigeois (الكاثار) في جنوب فرنسا عام١٢٢٦

وقبل الحديث عن هذه الحملة لابد من التعرف على من هم الكاثار وتاريخهم بعرض مختصر، حيث ادت روح الاستياء من الأوضاع العامة من جهة والتردي الذي اصاب الكنيسة ورجالها من جهة اخرى الى انتشار بعض المذاهب الهرطقيه في جنوب فرنسا وابرز تلك المذاهب هو مذهب الكاثاريين وقد اطلق اتباع هذا المذهب على انفسهم هذا الاسم والذي يعني (الاطهار) وهو مذهب يخالف العقيدة الكاثوليكية واصولها فقد نادوا بتحريم ذبح الحيوانات واكل لحومها وتحريم الزواج وانكار الثالوث المقدس الى غير ذلك من الآراء مما جعل الموقف بينهم وبين الكنيسة مسألة حياة او موت، ويبدو ان هذه الآراء انتشرت في شرق اوروبا الى غربها عن طريق التجار ووصلت الى فرنسا بحدود القرن الحادي عشر مما هدد الكنيسة وافزعها فزعا شديدا وقد تواجدوا بكثرة حول مدينه البي Albi في كونتيه تولوز مما جعلهم ينسبون اليها ويعرفون باسم الألبيجينيين، وسعت الكنيسة الى القيام بحملة صليبية ضدهم بعد ان يئس البابا اينوسنت الثالث(١١٩٨-١٢١٦) سنه ١٢٠٤ من القضاء سلميا على هذا الخطر لاسيما بعد ان رفض كونت تولوز ريموند السادس الاستجابة للبابا مما دفع المندوب البابا وي الى اصدار قرار الحرمان ضده عام١٢٠٧ . (عاشور، ١٩٧٢، الصفحات ٢٢٢-٢٢٥)

وكانت كونتيه تولوز والتي تقع في جنوب فرنسا مركزا ثقافياً وسياسيا وعاصمة لما عرف بمقاطعة لانغدوك (Canet, 1824, p. 57)وكان أول من استجاب لدعوة الكنيسة سيمون دي مونتفورت كونت ليستر والذي تزعم الحملة الصليبية ضد الهراطقة (SISMONDI, 1833, p. 49) منذ سنه ١٢٠٩ واستطاع من هزيمة ريموند السادس عام ١٢١٣ مما جعل البابا ان يقرر اعطاءه كونتية تولوز ودوقيه ناربون وغيرهما من الامارات الإقطاعية المجاورة عام ١٢١٥ وعلى الرغم من ان سيمون دي مونتفورت اعترف لملك فرنسا فيليب اغسطس بالتبعية الا ان

الاخير لم يلبث ان استاء من مسلك الاول المشوب بالكبرياء والعنف لذلك ساعدت قوات ملك فرنسا المحاولة التي قام بها ريموند السادس لاسترداد املاكه مما ادى الى مقتل سيمون دي مونتفورت عام ١٢١٨ (عاشور، ١٩٧٢، الصفحات ٢٢٥-٢٢٦) ليخلفه ابنه أموري والذي استطاع من رفع الحصار عن تولوز ودخل في صراع وقتال مع ريموند السادس الى ان توفي الأخير عام ١٢٢٢ (Canet, 1824, p. 256) وخلفه ابنه ريموند السابع ذو الخمسة والعشرين عاما والذي سار على نهج والده ليصبح وضع أموري سيمون دي مونتفورت أكثر صعوبة يوما بعد يوم. (Cayla, 1839, p. 394)

لتتصاعد الدعوات لنجدته وكانت في المقام الأول للملك لويس الذي كان أكثر استجابة من والده لمناشدات الباباوات والأساقفة فيما يتعلق بالحرب المقدسة ضد الكاثار، فنراه في أعقاب تتويجه ملكا على فرنسا ان أرسل ١٠٠٠٠ مارك إلى أموري دي مونتفورت استجابة لوصية والده حتى يتمكن فارس المسيح من الدفاع عن أراضي الجنوب من ريموند السابع. (Pegg, 2008, p. 142)

ووفقا لذلك حثه البابا هونوريوس الثالث (١٢١٦-١٢٢٧) في كانون الأول ١٢٢٣ مرة أخرى على قيادة حملة صليبية للقضاء على بدعة الكاثار وإنقاذ أموري من خلال رسالة بعثها له، وقد وافق الملك لويس على ذلك ليس لأنه كان مهتمًا كثيرًا بظروف أموري دي مونتفورت الخطيرة ولكن لأن الكاثريين تمددوا بشكل واسع في لانغدوك ،إلا أنه في ذات الوقت طالب البابا بشروط معينة لا يمكن بدونها القيام بتلك الحملة وهي:

- يجب أن يمنح الملك لويس وجميع الذين سيذهبون معه في الحملة ما عرف بصك الغفران أي مغفرة الخطايا والذنوب كالتي تمنح للذين يذهبون الى الحروب الصليبية التقليدية (حروب الأراضي المقدسة)

- أن يكون رؤساء أساقفة بورج وريمس وسان القادة الروحيين للحملة الصليبية وأن يحصلوا على صلاحيات كاملة كفرض عقوبة الحرمان على الناس و الممتلكات وجباية الأموال.

- ان يعمل البابا لتمديد الهدنة المبرمة مع ملك إنكلترا لمدة عشر سنوات لأن الملك لويس لا يعرف المدة التي تستغرقها الحملة وما يترتب عليها من استنزاف لنفسه وامواله ورجاله.

- أن يتم تعيين أسقف بورجيه Bourget مبعوثًا ويحصل على سلطات مماثلة لتلك التي يتمتع بها كاردينال بوردو، وخاصة تلك المتعلقة بالتبشير بالحملة الصليبية وقمع الأساقفة المشتبه في استخدامهم للسلام مع محرضي الهرطقة وأن تمتد صلاحياته إلى جميع رؤساء الأساقفة

والأساقفة في البلدان الذين يعارضون الإيمان الكاثوليكي. (Bordonove, 1991, pp. 357-358; Pegg, 2008, pp. 172-173)

- وعلى البابا ان يصدر مرسوما ينص على مصادرة مقاطعة تولوز و وتوابعها من ريموند الأب والابن وكذلك الأراضي التابعة لأولئك الذين قاتلوا أو يقاتلون من أجلهم وأن تكون كل تلك الممتلكات ثابتة للملك لويس إلى الأبد له ولورثته.

- منح ٦٠ ألف جنيه إسترليني للملك سنويًا ولمدة عشر سنوات.

- أن يتصرف البابا مع الإمبراطو فردريك الثاني حتى لا تتعرض الممتلكات المنسوبة إلى الملك لويس (ماركيز بروفانس) المجاورة لولاياته لأي ضرر. (Barraw, 1843, pp. 323-325; Bordonove, 1991, p. 358)

الا ان تطورات الحرب في لانغدوك كانت سريعة وأصبح موقف أموري خطيرًا للغاية لدرجة أنه اضطراً للبقاء محبوساً في كاركاسون Carcassonne مع الفرسان القلائل الذين بقوا معه، لذلك أبرم معاهدة سلام مع كونت تولوز وكونت فوا Foix في ١٤ كانون الثاني١٢٢٤ وغادر لانغدوك (Cayla, 1839, p. 396) وعند وصوله إلى بار يس في شباط ١٢٢٤تنازل للملك لويس عن جميع حقوقه من الامتيازات والهدايا التي منحتها الكنيسة الرومانية لوالده سيمون والتي ورثها هو وكل ما يتعلق بمقاطعة تولوز والبلدان الأخرى التابعة له، على افتراض أن البابا سيلبي جميع الشروط التي قدمها الملك لويس (Belperron, 1967, p. 381)

ولكن يبدو ان البابا كانت له حسابات أخرى لا سيما بعد ان علم ريموند السابع أن الاستعدادات كانت تجري في البلدان الواقعة خارج نهر لوار من أجل حملة صليبية جديدة في لانغدوك ، فسارع إلى الكتابة إلى البابا هونوريوس الثالث للحصول على غفرانه وأظهر رغبته الجدية في التوافق مع كل رغبات البابا الذي استمع له بإيجابية ، حيث أمر بتعليق الاستعدادات للحملة الصليبية. (Cayla, 1839, p. 396)

وقد برر البابا هونوريوس الثالث تغير موقفه ذلك من خلال رسالة جاء بها الكاردينال كونراد إلى البلاط الفرنسي، حيث أوضح البابا للملك لويس أن الإمبراطور فريدريك الثاني من هوهنشتاوفن أعلن انه سيرحل إلى الأراضي المقدسة وأن استعادة القدس لها الأولوية على الحملة الصليبية الكاثارية التي صرفت انتباه الرجال والموارد عن الحملة الصليبية الجديدة للإمبراطور الالماني كما كان على الفرسان الفرنسيين الاستعداد للقتال مع الصليبيين الألمان، علاوة على ذلك أدرك البابا أن مصالحة ريموند السابع ستكون أكثر فائدة للكنيسة من استيلاء ملك فرنسا على كونتية تولوز ومن هنا جاء تغيير رأيه ورفضه شروط الملك لويس ، ومع ذلك طلب من

الملك لويس الضغط على ريموند السابع للوفاء بوعوده للكنيسة. (Bordonove, 1991, p. 359)

صُدم الملك لويس وغضب من ذلك كونه كان متأكدا ان البابا سيوافق على شروطه ، لذا جمع مجلسه واستدعى المندوب البابوي وجميع الأساقفة والبارونات في فرنسا في ايار ١٢٢٤ وأعلن أنه بما أن البابا رفض مقترحاته فإنه سوف يبرئ نفسه تماما من قضية الكاثار، كما رفض ترهيب ريموند السابع لحمله على الوفاء بالوعود التي قطعها للكنيسة، ومع ذلك فقد وافق على أن الكرسي الرسولي له الحق أن يتعامل معه بالطريقة التي يراها مناسبة. (Belperron, 1967, pp. 384–385; Bordonove, 1991, p. 359)

دفع ذلك ريموند السابع ان اعلن يوم الاثنين ٢٣ اب ١٢٢٤ في مؤتمر مونبلييهMontpellier بأنه سيطرد الهراطقة وسيعطي الكنيسة ٢٠٠٠٠ مارك فضي لتعويض الكنائس المدمرة ولحفظ شرف أموري دي مونتفورت ، وانه سيعمل على تطبيق الايمان الكاثوليكي في جميع الأراضي التابعة له، ثم أرسل مبعوثين إلى البابا لمناقشة إدامة السلام في بروفانسprovence وطلب إلغاء موافقة الكرسي الرسولي على ان يكون أموري ككونت تولوز ورفع حرمانه من الكنيسة (Pegg, 2008, p. 173)

في المقابل بذل أموري دي مونتفورت كل ما في وسعه لمنع المصالحة بين البابا وريموند السابع ، الا ان الأخير بذل كل جهده لإتمام تلك المصالحة حيث رغب بشدة في الحصول على صداقة وحماية البابا فأخذ يعيد إلى أساقفة مقاطعة تولوز الممتلكات التي استولى عليها من الكنائس المختلفة ،كما أرسل سفراء إلى روما واعلن ان شعب لانغدوك الذي انهكته الحروب يحذوه الامل في السلام، وصل سفراء ريموند السابع إلى روما في ١٢ تشرين الاول ١٢٢٤ وحصلوا بسهولة على مقابلة مع البابا هونريوس الثالث وكان قد سبقهم مبعوثو الملك لويس وأموري دي مونتفورت، لذا وجد سفراء ريموند السابع أنفسهم مجبرين على العودة إلى بروفانس دون الحصول على رد حاسم من البابا. (Cayla, 1839, p. 396)

ويبدو ان البابا كان يعيش التناقض مع نفسه حيث رجع إلى قناعته القديمة بضرورة القيام بحملة صليبية في أراضي الكاثار كونه لم يطمأن لوعود ريموند السابع بشأن الحفاظ على السلام وإبادة الهراطقة ، ولم يعد يتراجع عن خيار الحرب بعده المسار الوحيد الممكن للقضاء على الألبيجينيين ، لذلك ارسل مبعوثه إلى باريس في شهر ايار ١٢٢٥ وبدأ على الفور في إقناع الملك لويس بقيادة حملة صليبية جديدة، وكان الملك على نحو غير متوقع لا يزال على استعداد لمحاربة الهراطقة على الرغم من أن شروطه السابقة بشأن الذهاب إلى الحملة الصليبية

كانت ستتحقق جزئيًا (Pegg, 2008, p. 174) ويعود سبب ذلك انه وقع تحت تأثير الضغط الثلاثي أولا من المبعوث البابوي الذي يتحدث باسم السماء، وثانيا الأراضي الشاسعة التي تُظهر الملكية الممتدة إلى جبال البرانس، وثالثا بارونات فرنسا الذين يحترقون للانتقام من انتكاسات الحملة الصليبية السابقة، فلم يعد الأمر امامه سوى مسألة تأليف قوة عسكرية ملكية ومجمع كنسي لإضفاء هيبة وقدسية على الحملة المرتقبة. (Berat, 1870, p. 81)

وبالفعل دعا البابا إلى عقد مجمع في بورجيه جنوب نهر اللوار عند ملتقى نهري ييفر Yèvre وأورون Auron للتباحث في قضية الكاثار وريموند السابع الذي انعقد في ٢٩ تشرين الثاني ١٢٢٥ برئاسة المندوب الجديد إلى فرنسا الكاردينال رومانوس من أنجيلو Romanus of St Angelo وقد حضر هذا المجمع المهيب أربعة عشر رئيس أساقفة ومائة وثلاثة عشر أسقفاً ومائة وخمسين رئيس دير وكل رجال الدين من شمال وجنوب بلاد الغال، وقد دُعي ريموند السابع تحت الحماية الملكية لمدة شهر وكان هدف المجمع الحكم على ريموند السابع قانونيًا أو بالأحرى تقرير ما إذا كان من المناسب منحه عفو الكنيسة أم لا ، ولقد لجأت الكنيسة إلى نوع من المواجهة بين أموري دي مونتفورت وريموند السابع الذي طلب بكل تواضع المصالحة مع الكنيسة الرومانية ودافع عن نفسه ضد متهميه ووعد بملاحقة الهراطقة واستعادة الإيرادات الكنسية وإصلاح الأضرار التي لحقت بالكنائس والأديرة وانه سيعمل للقضاء على بدعة الكاثار، وهي نفس الوعود التي أطلقها سابقا في مونبلييه وهي بذلك لم تكن ذات جدوى ، وقد دافع أموري دي مونتفورت عن حقوقه ككونت تولوز وفيكونت كاركاسون وبيزييه Bézier أمام المجمع بعدها ورثا من والده سيمون (Berat, 1870, pp. 82–83; Pegg, 2008, p. 174) كما أبرز المرسوم الذي منح بموجبه هونوريوس الثالث مقاطعة تولوز. (Bordonove, 1991, p. 362)

ومن المحتمل أن ريموند السابع لم يستطع أن يخضع لجميع المطالب التي سعى المندوب البابوي فرضها عليه، وقد تم التصويت كتابة ولم تكن النتائج معروفة إلا بعد رحيل ريموند السابع ومستشاريه، حيث أعرب الحاضرون في مجمع بورجيه عن رأيهم بعدم تبرئة ريموند السابع لأنه لم يعرض كما كان ينبغي له أن يطيع أوامر الكنيسة، وبالفعل في ٢٨ كانون الثاني ١٢٢٦ وبحضور كبار بارونات المملكة أصدر المندوب البابوي قرارًا رسميًا بطرد ريموند السابع وشركائه من الكنيسة ومنح تولوز وتوابعها للملك لويس وخلفائه إلى الأبد، كما جدد أموري في نفس الوقت التنازل عن الحقوق التي كان يتمتع بها من والده وتلقى وعدا بتعيينه مسؤولا عن الامن تعويضًا عن الميراث الذي فشل في الحفاظ عليه، ومنذ ذلك الحين لم يعد هناك ما يمنع

الملك لويس من غزو لانغدوك بطريقة قانونية. (Bordonove, 1991, p. 362; Longnon, 1922, p. 122)

وكان يجب على خمسة رؤساء أساقفة وأحد عشر أسقفًا أن يضمنوا للملك أنه يستطيع البقاء في اراضي الكاثار والعودة كما يشاء وبضمانة المبعوث والأساقفة أنفسهم، حيث تعهد المندوب البابوي بان المملكة والملك وعائلته وكل من سيرافقه ويعمل من أجل رفاهيته وممتلكات الصليبيين ستكون تحت حماية الكنيسة في كل الأوقات، وستكون الغفرانات هي نفسها الخاصة بالأرض المقدسة، وقد نهى عن الحروب الخاصة في فرنسا ووعد باسم البابا بتمديد الهدنة مع إنكلترا وأخيراً قرر تخصيص عُشر إيرادات الكنيسة لمدة خمس سنوات لتمويل الحملة الصليبية. (Belperron, 1967, p. 389)

وهكذا وبعد أن حصل على معظم الضمانات التي رفضها البابا له قبل عامين ومتأكداً من أنه إذا غزا لانغدوك فلن تأتي أي سلطة لتجادل في انتصاره، ليتسلم الملك لويس من يد المبعوث البابوي الصليب في ٣٠ كانون الثاني ١٢٢٦وأخذه جميع البارونات اقتداء بالملك، وكتب مبعوث البابا إلى جميع مطارنة فرنسا (لقد حمل الملك الصليب ضد الهراطقة). (Berat, 1870, p. 87)

اما ريموند السابع فقد كان عازما على الصمود ومقاومة الملك الفرنسي بعد أن تخلى عنه البابا وأدانه المندوب وأبلغه مجمع بورجيه بشكل نهائي بموقف الكنيسة منه، لكن هذا الشاب كان مختلف عن والده وكان يعرف كيف يتصرف ويقاتل عندما تكون القوة هي الملاذ الأخير، حيث بدأ بتأكيد امتيازات أهل تولوز بمنحهم امتداد حدودهم إلى الضواحي وأعطى روجر برنارد Roger-Bernard كونت فوا حليفه الوحيد حوالي خمسة عشر قلعة في تولوز وعزز علاقته مع البرجوازيين في مدينة أجان d'Agen وتصالح مع رئيس دير مواساكMoissac . (Belperron, 1967, p. 390)

في المقابل بشر العديد من الأساقفة بالحملة الصليبية في البلدان الواقعة خارج نهر اللوار كما في زمن ريموند السادس، واجتمع اللوردات وكبار البارونات تحت راية فرنسا، وامر الملك لويس الجيش بالتجمع في بورجيه في ١٧ أيار ١٢٢٦ (Cayla, 1839, p. 398) وأرسل المندوب البابوي رسالة إلى جميع الأساقفة لتسريع عملية التجنيد. (Bordonove, 1991, p. 363)

وبالفعل تم تحشيد جيش ضخم، وقد قدره كثير من المؤرخين ان قوامه خمسون ألف رجل (Cayla, 1839, p. 398; West, 2020, p. 171) واخرون قدروه بعشرات أو حتى مئات الآلاف من الرجال، ولكن الاعتقاد ان هذه الأرقام مبالغ فيها ومن الارجح القول إنه كان جيشًا أكبر مما كان يُرى عادةً في أوروبا الغربية في ذلك الوقت، وانطلق الجيش الملكي في الثلث

الاخير من شهر ايار ١٢٢٦ مسافرًا جنوبًا عبر وادي الرون واستخدم النهر لنقل بعض الأمتعة والإمدادات، وكان هناك الكثير مما يجب نقله، فبينما كان يشق طريقه عبر الأجزاء الصديقة من مملكته أحضر لويس معه الطعام والماشية والأعلاف حتى أصبح جيشه مكتفيًا ذاتيًا ولم يكن بحاجة إلى النهب أو الاستيلاء على السلع أو مصادرة المزروعات من الأرض، وانتشرت الأخبار التي تفيد بأن الملك في طريقه شخصيًا قبل الجيش. (Hanley, 2016, p. 214)

فشعر شعب لانغدوك الذي عان كثيرًا من الحملة الصليبية الأولى بالخوف من هذه الاستعدادات الهائلة ووصول الملك لويس مع جيشه إلى ليون في ٢٨ أيار ١٢٢٦ على رأس الجيش، فسارع العديد من النبلاء إلى اعلان خضوعهم إلى ملك فرنسا (Cayla, 1839, p. 398) وتبعت المدن حذوهم فقد استسلمت بيزييه ونيم Nîmes وبويلورين Puilaurens وكاستر Castres قبل أن يقترب لويس منها، ولكن ريموند السابع لم يكن ليستسلم بسهولة فقد استدعى أولئك التابعين الذين ما زالوا موالين له وناشد ابن عمه هنري الثالث ملك إنكلترا (كانت والدة ريموند هي جوانا أخت الملك جون) وهيو دي لوزينيان كونت لا ماركي وأنغوليم طلبًا للمساعدة ولكنه لم ينجح، فقد كان الملك هنري الثالث ابنًا متدينًا للكنيسة ولم يكن راغبًا في الارتباط بالقوى المتحالفة مع الهرطقة أو تعريض نفسه لخطر الحرمان الكنسي بسبب اتفاق الملك لويس مع البابا، وفي ذات الوقت كان هيو دي لوزينيان في تحالفه مع الملك لويس والذي جلب له فوائد كبيرة لذلك رفض الانضمام إلى كونت تولوز. (Hanley, 2016, p. 215)

- حصار أفينيون Avignon

مع تقدم الجيش الملكي جنوبًا إلى تولوز كانت إحدى العقبات التي تعترض طريقه هي مدينة أفينيون الكبيرة التي يُفترض أنها منيعة بجسرها الكبير عبر نهر الرون وكانت تقع في مقاطعة بروفانس وليس كونتيه تولوز لذا لم يكن لديها سبب للصمود في وجه الملك لويس (Hanley, 2016, p. 215) الا ان هذه المدينة من أوائل المدن التي فتحت أبوابها لريموند السابع عند عودته من مجمع لاتران وقد خضعت له من باب الحب وظلت تحت الحرمان الكنسي لمدة اثني عشر عامًا، ولكن لم يشعر سكان أفينيون بأنهم أقوياء بما يكفي لتحمل مواجهة الحملة الصليبية ولم يعتقدوا أن الكونت ريموند نفسه سيكون قادرًا على مقاومتها لذلك عرضوا على الملك لويس المؤن والمرور عبر نهر الرون لكنهم في الوقت نفسه لم يقبلوا جيشًا سيئ الانضباط مثل جيشه داخل أسوارهم لذا اتخذوا التدابير اللازمة لسلامة مدينتهم، حيث قاموا بإصلاح اسوارها وزودوا أنفسهم بالأسلحة ومعدات القتال وأحضروا إلى مدينتهم كل المؤن من الحقول المجاورة، فكان على الملك ان يكتفي بالعرض الذي قُدِّم له بفتح ممر لجيشه خارج الأسوار والسماح له

وللمبعوث البابوي بدخول المدينة مع أبرز أفراد البلاط الملكي، ولكن المندوب والكهنة أرادوا معاقبة المدينة التي ظلت تحت وطأة الحرمان الكنسي فصلا عن ان الصليبين كانوا تواقين للاستيلاء على الثروات التي توقعوا أن يجدوها متراكمة في المدينة، كما ان خدش كبرياء الملك دفعه للإصرار في عبور نهر الرون عبر الجسر الحجري على رأس جيشه بالكامل. الا انهم لن يسمحوا بذلك وأغلقوا أبوابهم في وجهه على الفور وأرسلوا فرقة لتدمير الجسر، وبذلك أصبحت أفينيون تشكل عقبة كبيرة أمام الصليبيين وتحديًا مباشرًا لسلطة الملك، وردا على ذلك أصدر المندوب البابوي مرسومًا يأمر فيه الملك بتطهير المدينة من الهراطقة. (Sismondi, 1823, pp. 586–587; SISMONDI, 1833, pp. 202–204)

لذا في اليوم التالي ١٠ حزيران ١٢٢٦ أمر الملك لويس بفرض حصار حول المدينة وتم انشاء جسر مؤقت مؤلف من القوارب لتمكين أولئك الذين عبروا النهر من العودة والانضمام إلى الجيش الرئيسي، ولم تكن حامية أفينيون من المواطنين المحليين فحسب بل وأيضًا من قبل فرقة كبيرة من المرتزقة الذين كانوا على استعداد للدفاع عن المدينة، ومع ذلك تبيّن أن حصار أفينيون أصعب بكثير مما توقعه المندوب والصليبيون، حيث كانت المدينة قوية بفضل موقعها ومحمية جيدًا بالخنادق والجدران والأبراج والأسوار الخارجية، بينما كانت في الداخل محصنة جيدًا بالفرسان والمقاتلين، كما ان سكانها كنوا يشعرون بنوع من الحماية من الإمبراطور الالماني فريدريك الثاني بعدها تابعة له، الا ان الملك لويس سارع إلى الكتابة إليه لتبرير هجومه عليها. (Hanley, 2016, p. 216)

وبالفعل هذا ما اثبتته الاحداث لأن المدافعين عن المدينة اظهروا جرأة وشجاعة كبيرة حينما ألقوا على الجيش الملكي حجرًا مقابل حجر ورمحًا مقابل رمح وسهمًا مقابل سهم فألحقوا بالجيش الملكي جروحاً مميتة. (Gabourd, 1856, p. 492)

وعلى الرغم من الأسوار العالية لافينيون والجيش الفرنسي كان مفصولاً عن المدينة بالنهر لكن الملك كان مصمماً على مسار عمله، حيث عان المحاصرون من كل أنواع الأمراض فلم يتعرضوا فقط لضربات السهام والحجارة من داخل المدينة بل تعرضت الأجزاء الخارجية من الجيش لغارات من قبل كونت تولوز ريموند السابع الذي ظهر كرجل حرب ماهر ، كما دمر هو ورجاله أيضًا جميع الحقول والمحاصيل المحيطة بأفينيون قبل وصول الصليبيين وحرثوا المروج حتى لا تجد خيول الأعداء مرعى هناك ، وكذلك ردم الآبار وهدم الأبراج والمطاحن وبمساعدة جيرانه قام بتجميع عدد جيد من القوات ليس فقط لمعركة العدو ولكن على الأقل لمضايقتهم في مسيرتهم والاستيلاء على قوافلهم. حتى اضطر الجيش الملكي القيام برحلات محفوفة بالمخاطر

إلى مسافات بعيدة للعثور على قليل من الطعام بعد ان نفذ ما جلبوه معهم من مؤن مما عرضهم للتنكيل والقتل. (Martin, 1859, p. 333; Velly, n.d., p. 48)

ومع حلول أوائل اب ١٢٢٦ كانت المناقشات جارية حول أفضل طريقة للمضي قدمًا، فلم يكن من الجيد أن يبقى الصليبيون خارج أسوار أفينيون لأشهر عديدة أخرى، ولكن من ناحية أخرى إذا تم التخلي عن الحصار فإن ذلك سيترك مدينة معادية خلف الجيش وهو أمر خطير للغاية وسيتعين على جيش الملك لويس أن يجد مكانًا آخر لعبور نهر الرون، لذا استقر راي الملك ونبلائه بالهجوم على المدينة ، الا ان هذا القرار لم يكن صائبا تماما فمن أجل الاقتراب من أسوار المدينة كان على الجيش عبور النهر فوق جسر ثانوي من الخشب لم يكن قويًا بما يكفي لجيشهم وبالفعل عند صعودهم على ذلك الجسر تعرضوا الى وابل من السهام مسببة الإصابات والموت وتسببت آلاف الحجارة الملقاة عليهم في مذبحة مماثلة، ومما زاد الأمور تعقيدا انهيار الجسر وألقي مئات الرجال في النهر حيث غرقوا بسبب ثقل دروعهم ومعداتهم، وكان من بين القتلى جاي Geai كونت سانت بول Saint-Paul الشجاع عندما أصابه حجر مباشرة في رأسه، وهو الصديق الأقرب للملك لويس ورفيقه منذ الصبا، لكن حزنه سرعان ما تحول إلى غضب، حيث أقسم الملك أنه لن يترك الحصار حتى يتم غزو المدينة، واتبع نهج مختلف فقد منع أي هجمات مباشرة أخرى واستقر على المدى الطويل فأفينيون إما أن تستسلم أو تموت جوعًا. (Barraw, 1843, pp. 346-348; Guizot, 1825, pp. 377-378; Velly, n.d., p. 53)

وبينما ظلوا هناك معرضين لأشعة الشمس البروفانسية الحارة في صيف عام ١٢٢٦، مرض العديد من الجنود وماتوا كما زادت صعوبة التخلص الآمن من جثث الرجال الذين فقدوا أرواحهم بسبب المرض أو القتل وسرعان ما أصبحت كل المناطق المحيطة بالمخيمات مليئة بجثث الرجال والخيول، ومن بين تلك الجثث المنتشرة في السهل ارتفع صوت طنين مخيف من أسراب الذباب الكبير الأسود الذي شق طريقه إلى داخل الخيام وأثر على المؤن والخمور ولأنهم لم يتمكنوا من إبعادهاعن أكوابهم وأطباقهم فقد سببت بلسعاتها نشر عدوى الزحار الذي نشر الموت في المعسكر. (Martin, 1859, p. 334)

وعلى الرغم من ذلك ظل الملك لويس وجيشه محاصرًا أفينيون ولم يسمح بدخول أي إمدادات أو خروج أي أشخاص، وكان قد ارسل بالتعاون مع المندوب البابوي رئيس أساقفة ناربون إلى مدن مقاطعة لانغدوك لحثها على الخضوع لطاعة الملك ولأوامر الكنيسة، وبالفعل حقق هذا الأسقف نجاحا كبيرا لدرجة أن معظم اللوردات والمدن من الرون إلى ضواحي تولوز اعترفوا بالملك

باعتباره سيدهم، حيث جاء العديد من الأمراء واللوردات لمساعدته في هذه الحملة ولتقديم الولاء له ومن بينهم ريموند بيرينجر كونت فوركالكوير Forcalquier وبرنارد السادس كونت كومينجز Comminges وروجر برنارد كونت فوا لكن الأخير لم يتمكن من الحصول على السلام الذي طلبه واضطر إلى الانسحاب دون التوصل إلى أي اتفاق، وكانت المدن التي استسلمت للملك هي كاركاسون وألبي ومرسيليا وبوكير وناربون وغيرها. (Gabourd, 1856, p. 491; Velly, n.d., pp. 50–51)

لا شك أن أخبار الاستسلام لتلك المدن كانت تُذاع على سكان أفينيون عبر الأسوار من أجل استنزاف معنوياتهم بعد حصار مطبق دام ثلاثة اشهر، مما دفعهم في النهاية للاستسلام للأمر المحتوم فلم يكن لدى ريموند السابع القوة الكافية لكسر الحصار، وبالفعل بحدود بداية أيلول ١٢٢٦ استسلمت أفينيون الا ان الملك المنتصر لم يقبل ذلك الاستسلام إلا بشرط ردم الخنادق وهدم الأسوار وهدم المباني التي يسكنها النبلاء والتي كانت مزينة بالعديد من الأبراج حتى أنها بدت وكأنها حصون أكثر من كونها منازل كذلك تسليم ثلاثمائة رهينة ودفع غرامة باهظة. (Viard, 1932, pp. 22–23; Velly, n.d., p. 55)

وبعد استسلام الرهائن فتح سكان أفينيون أبوابهم للملك وللمندوب البابوي الذي سارع بتطهير الكنائس من الهراطقة وعين كهنة ورؤساء الكهنة جدد، وسلم المواطنون جميع أسلحتهم و ٦٠٠٠ مارك إلى الملك لويس ولم تكن هناك عمليات إعدام ولا مذبحة للسكان، ونظرًا لأن لويس كان عليه أن يغادر المدينة مرة أخرى على الفور تقريبًا فقد كان بحاجة إلى ترك المدينة تحت إشراف شخص يحكم باسمه بصرامة ووقع اختياره على ويليام كونت أورانج Orange الشاب الذي أُسِر والده وأُحرِق حيًا وقُطِّعت بقايا جثته إلى أشلاء أثناء الحملة الصليبية عام ١٢١٨، وكان من الممكن الاعتماد عليه في عدم إظهار أي تعاطف مع الجنوبيين المهزومين. (Hanley, 2016, pp. 220–221)

وبطبيعة الحال لم يعر الملك ولا المندوب البابوي أي اهتمام للهراطقة داخل المدينة لكنهما كانا مدينين ببعض الاحترام للإمبراطور فريدريك الثاني، وربما كان ذلك هو السبب الذي جعلهما يكتفيان بطلب ثلاثمائة رهينة كضمان لخضوع المواطنين لأوامر الكنيسة والمندوب البابوي وبفرض مساهمة حربية على المدينة وبهدم أجزاء من أسوارها وأبراجها وبقتل الفلمنكيين والفرنسيين الذين وُجدوا في الحامية ،ومن المرجح أنه لولا توصية الإمبراطور لكان جميع السكان قد أُعدموا. (SISMONDI, 1833, p. 209)

وذكرت المصادر ان عدد القتلى جراء ذلك الحصار والمرض بلغ أكثر من اثنين وعشرين ألف رجل من الجانبين (Velly, n.d., p. 56) ونعتقد ان هذه الأرقام مبالغ فيها كون ان مصادر أخرى ذكرت انه مات حوالي ألفين شخص من الجيش الملكي فقط. (Guizot, 1825, p. 378)

توجه الملك لويس وجيشه بعد ذلك إلى تولوز دون أن تقف أي بلدات أخرى في طريقه (Longnon, 1922, p. 122)ووصل حتى مسافة أربعة فراسخ من تولوز في شهر تشرين الأول ١٢٢٦، الا انه كان القرار الواقعي الوحيد هو عدم فرض حصار على تولوز التي تحصن بها الكونت ريموند السابع فكانت أحد أقوى الأماكن في المملكة، لذا تقرر تأجيل الهجوم عليها إلى الربيع التالي حيث كان الملك لويس يضع الأساس لبعثة أخرى لإنهاء الحملة الصليبية مرة واحدة وإلى الأبد، فضلا عن ان جيشه كان متعبًا كون العديد من الفرسان والمقاتلين مرضى بالزحار (Viard, 1932, p. 23; Velly, n.d., p. 56)فعانى من المزيد من الخسائر ولم يكن النبلاء أقل عرضة للإصابة من عامة الناس حيث توفي ويليام دي جوانفيل رئيس أساقفة ريمس الذي توج الملك لويس وفيليب دي كورتيناي Philipe de Courtenay كونت نامور Namur. (Martin, 1859, p. 336)

-وفاة الملك لويس الثامن

دفع ذلك الملك ان يقرر العودة الى باريس في نهاية تشرين الأول ١٢٢٦، ولكن في طريق العودة وعند وصوله إلى قلعة مونتبانسييه Montpensier في أوفيرن Auvergne في ٣ تشرين الثاني ١٢٢٦ كان يعاني بشدة ويبدو انه أصيب بالزحار فتم نقله إلى سرير للراحة وتم استدعاء الأطباء لكن ذلك لم ينفع شيئا، ثم جمع حول فراشه جميع الأساقفة والنبلاء الكبار الذين كانوا معه وجعلهم يقسمون على طاعة ابنه الاكبر لويس الذي كان في سن الثانية عشرة ليتم تتويجه في أقرب وقت ممكن كملك لهم، ليتوفى بعد أيام قليلة وتحديدا في يوم ٨ تشرين الثاني ١٢٢٦ ليتم بعد ذلك نقله ودفنه في سان دوني Saint-Denis مكان الدفن التقليدي للملوك الفرنسيين في ١٥ تشرين الثاني ١٢٢٦بجوار ابيه فيليب اغسطس. (SISMONDI, 1833, pp. 211-212; Gabourd, 1856, p. 494)

الخاتمة

ومن خلال ما تقدم نستطيع ان نصل الى نتائج عدة وهي:

- استفاد الملك لويس الثامن كثيرا من ارث والده الملك فليب أغسطس الذي استطاع من بناء مملكة قوية فكان عهده استكمالا لذلك البناء في مختلف المجالات.

– تميز عهد الملك لويس الثامن في حكمه لفرنسا بالصبغة العسكرية اذ شهدت مده حكمه التي استمر ثلاث سنوات وخمسه اشهر تقريبا حربين في غرب وجنوب فرنسا تمكن من خلالهما من تقوية حكمه وتوسيع رقعه مملكته وفرض سيادة ال كابيه على معظم اجزاء فرنسا.

– نجح الملك لويس في اهم مسألتين كانت تواجه فرنسا الاولى الحد من قوة التاج الإنكليزي في مملكته والثانية غزو أراضي الكاثار في جنوب فرنسا واضعافهم والسيطرة على كثير من أراضيهم.

–يحسب للملك لويس زيادة ثروات فرنسا سواء من خلال ضم المدن والبلدات وما تحتويه من ثروات الى سيطرة ال كابيه او عن طريق تعظيم إيرادات المملكة من استحداث موارد جديدة كذلك استخدام الحقوق الملكية بشكل اوسع على الطبقة الأرستقراطية من النبلاء وعامة الشعب الفرنسي.

– من اكثر الأشياء إيجابية التي تحدثت عنها المصادر التاريخية والتي كانت أحد أسباب نجاحه في حكمه لفرنسا انه لم يكن منقادا لشهواته وملذاته ككثير من ملوك العصور الوسطى بل عرف عنه كان شديد الإخلاص لزوجته بلانش قشتالة فضلا عن التزامه بمعتقداته الدينية.

List of sources

-French books

1- Barraw, J.-J. (1843). *Histoire des croisades Contre les Albigeois.* Paris: J.-B. CLAREY, LIBRAIRE.

2- Belperron, P. (1967). *La Croisade contre les Albigeois et l'union de Languedoc {grave}a la France (1209-1249).* Paris: Perrin.

3- Berat, N. (1870). *Histoire des Albigeois Les Albigeois et l'Inquisition.* Paris: LIBRAIRIE INTERNATIONALE.

4- Berger, É. (1895). *Histoire de Blanche reine de Castille reine de France.* Paris: THORIN & FILS, ÉDITEURS.

5- Bloch, M. (1964). *la france sous les derniers capetiens 1223-1328.* Paris: rue Saint-Michel.

6- Bordonove, G. (1991). *La tragédie cathare.* Paris: Pygmalion.

7- Bourassin, E. (1975). *La cour de France à l'époque féodale, 987-1483 : des rois pasteurs aux monarques absolus.* Paris: Perrin.

8- Canet, V. (1824). *Simon de Montfort et la croisade contre les Albigeois.* Lille: Desclée, de Brouwer & Cie.

9- Cassard, J. C. (2011). *Histoire de France L'âge d'or capétien 1180 – 1328.* (J. Cornette, Ed.) Éditions Belin.

10- Cayla, J.-M. (1839). *Histoire de la ville de Toulouse depuis sa fondation jusqu'à nos jours.* Toulouse: Administration de l'Histoire gie des villes du Midi de la France.

11- Dutaillis, P. (1894). *Étude de la vie et du règne de Louis VIII (1187-1226).* Paris: LIBRAIRIE ÉMILE BOUILLON.
12- Franklin, A. (1911). *La vie privée au temps des Premier Capétiens.* Paris: Émile-Paul.
13- Gabourd, A. (1856). *Histoire de France DEPUIS LES origines gauloises à nos jours -TOME CINQUIÈME.* Paris: GAUME FRÈRES, LIBRAIRES-ÉDITEURS.
14- Guizot, M. (1825). *COLLECTION DES MÉMOIRES RELATIFS A L'HISTOIRE DE FRANGE dePUIS LA FONDATION DE LA MONARCHIE FRANÇAISE* . PARIS: CHEZ J.-L.-J.-BRIÈRE, LIBRAIRE.
15- Jullian, M. (1989). *Initiation à l'histoire des rois de France.* Paris: Perrin.
16- Longnon, A. (1922). *La Formation de L'unité Française.* Paris: A. Picard.
17- Luchaire, A. (1911). *Histoire de France depuis les origines jusqu'à la révolution-TOME III — PREMIÈRE PARTIEI* . Librairie Hachette.
18- Mably, l. D. (n.d.). *Observations Sur l'histoire de France.* Geneva: Par la Compagnie des Libraires.
19- Martin, H. (1859). *HISTOIRE DE FRANcE DEPUIS LES TEMPS LES PLIiS RECULÉS JUSQU'EN 1789.* PARIS: FURNE ET O, LIBRAIRES-ÉDITEURS.
20- Sismondi, J. C. (1823). *HISTOIRE DES FRANÇAIS TOME SIXIEME.* PARIS: Chez TREUTTEL et WÙRTZ, Libraires.
21- Velly, I. (n.d.). *History of France From the founding of the monarchy to the reign of Louis XIV.* Paris: Chez Desaint & Saillant.
22- Viard, J. (1932). *Les GRANDES CHRONIQUES DE FRANCE PUBLIEES POUR LA SOCIÉTÉ DE l' HISTOIRE DE FRANCE (Série antérieure à 1189}(LOUIS VIII ET SAINT LOUIS)TOME SEPTIEME.* Paris: LIBRAIRIE ANCIENNE HONORÉ CHAMPION.

English books-

1-Abbott, J. (1876). *History of France, from the conquest of Gaul by Julius Caesar to the reign of Louis Philippe.* New York: HARPER & BROTHERS, PUBLISHERS.
2-Hanley, C. (2016). *Louis the french prince who invaded england.* London: Yale University Press.
3-JERVIS, W. H. (1886). *HISTORY OF FRANCE FION THE EARLIEST TIMES TO THE FALL OF THE SECOND EMPIRE IN 1870.* London: JOHN MUPRAY, ALBEMARLE STREET.
4-Macdonald, J. R. (1915). *A History of France -Volume I.* New York: Macmillan Company.
5-Marsh, F. B. (1912). *English rule in Gascony 1199-1259 With special reference to the Towens.* Michigan: ANN ARBOR.
6-Norgate, K. (1912). *The minority of Henry III.* London: Macmillan & Company Limited.
7-Pegg, M. G. (2008). *A most holy war : the Albigensian Crusade and the battle for Christendom.* Oxford: Oxford University Press.
8-SISMONDI, J. C. (1833). *History of the Crusades against The Albigensians in the thirteenth Century.* Boston: PUBLISHED BY B. B. MUSSEY, 29, CORNHILL.
9-West, E. M. (2020). *Capetian France 987-1328* (Vol. Third edition). London: Routledge Taylor & Franchy Grosup.

-Arabic books

١- سعيد عبدالفتاح عاشور. (١٩٧٢). *تاريخ اوروبا في العضور الوسطى*. بيروت: دار النهضة العربية.

-Saeed Abdel Fattah Ashour. (1972). History of Europe in the Middle Ages. Beirut: Dar Al Nahda Al Arabiya.

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٥ المجلد ١٥/ العدد ٦